

الكتب عشق من نوع آخر

عندما تقول الكاتبة الأمريكية (هاربر لي) : أنا لا أحب أن أقرأ ، فالإنسان لا يحب أو يكره أن يتنفس ، ويقول آخر : عندما يراني أحدهم أشم كتابا يطنني مجنونا .. فماذا يمكن أن نسمى هذا غير الحب الأعمى ؟

ثم ماذا نسمى كلام الكاتب والروائي ماريو بارغاس يوسا في (حياة الكتابة) حين قال إنه رافقه في رحلة بالطائرة أحد أصدقاءه - وهو كاتب كبير أيضا - وقضى كامل الرحلة ممسكا بنسخة بالية من كتاب (مدام بوفاري) لكنه لم يقرأها بل ظل يتصفحها باستمرار ، وحين سأله عن السبب أجابه بأنه يستخدمها كتميمة تضمن له سلامة الرحلة وقال له إن هذا الكتاب (هو ما يبقي الطائرات سالمة !!) .

ويحدثنا مانغويل عن قصة الأمير الفارسي الذي كان يصطحب معه مكتبته المؤلفة من 117 ألف كتاب على ظهر قافلة من الجمال ، مصنفة بحسب الأحرف الأبجدية . ولنا مثال محلي جميل من الأحساء عن محب للكتب كان يعمل ويجمع المال لكي يشتري به الكتب والمخطوطات وهو المؤرخ القدير المرحوم الحاج جواد الرمضان ، الذي كان أيضا يسافر إذا سمع عن كتاب في بلد ما يمكن أن يفيده . ولي صديق قديم (أحمد المرهون) كان يعشق المخطوطات القديمة حد الإدمان ، وكان يسافر من بلد لآخر باحثا عن أي مخطوط يتحدث عن علماء أو كتابات لأبناء بلده ، حتى إنه كان يقوم بالمكوث مدة طويلة في بعض المكتبات القديمة متعاملا مع مخطوطات علاها الغبار لمدد طويلة حتى أصابه مرض جلدي لم يتمكن من علاجه إلا بجهد كبير . وصديق آخر (الكاتب والرائي جعفر عمران) يقول عن الكتاب : أحمله معي في حقيبتي . أضعه على الطاولة قرب السرير ، يمكث معي كصديق حميم ، يُدخل عليّ السرور. فإذا ما انتهيت من قراءته أضعه في مكان تقع عليه عيني. أمرٌ عليه ، ابتسم له وأحياه بغمزة .

أي عشق هذا الذي يجعل القارئ ينسى حتى عشيقته ؟ أيهما أسمى هو أم قيس الذي حين سألوه عن سبب حبه لليلي رغم عدم جمالها أجابهم : وهل تنظرون إليها بعيني قيس ؟

إنه العشق الأعمى الذي يرى في ليلي أجمل مخلوق ، ويرى في الكتب الحب والمنهل وماء الحياة والأكسجين

الذي بدونه لا تستمر الحياة ..

وعشقتها شمطاء شاب وليدها - وللناس فيما يعشقون مذاهب .